سياسية ثقافية نصف شهرية مستقلة |السنة الثالثة |العدد 107| 1| أيار 2015
www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com

الصمت سيد الكلمات

اقتلاع الطغيان

تشكيل جديد في حلب وغياب كبرى الفصائل

موقف المدني في سوريا بين الموضوعية وغريزة البقاء

الشائعات في الحروب حالة شعبية أم لعبة مخابراتية؟

إيران تنهزم في معركة بصرى الشام

المجتمع المدني.. أعباء ومعوقات

لوحة الغلاف للفنان سعد يكن بعنوان الجحيم

اقتلاع الطغيان

النبأ الذي اغتبطنا لسماعه عشرات المرّات ثمّ أحبطنا بعد أن تبيّن عدم صحة ما سمعنا حتّى أنّنا لم نعد نكترث، والأصح لم نعد نودّ سماعه لأنّنا سنرتاب فيه سلفاً أو سنعتبرها مزحة سمجة.

ولكن ما سجّله التاريخ على يد جيش الفتح هو الحقيقة التي مفادها اقتلاع أهمّ قلاع الطغاة في الريف الشرقيّ لمحافظة إدلب تحرير معمل القرميد وأعيدها لمن لا يصدّق ... نعم تحرير معمل القرميد منذ أن فرض التسليح كممرّ إجباريّ على الثورة السوريّة.

حاصر نظام الطغيان أغلب المدن السوريّة بزرع عدد من الحواجز على مداخلها الرئيسيّة التي أذاقت سكّان تلك المدن كافّة أنواع القهر والموت وكانت ضحاياها ليست بالقليلة.

وعندما اِشتدّ عود الثورة وبدأت تلك الحواجز تتهاوى تحت ضربات المقاتلين، أدرك الطغاة أنّهم سيخسرون جميع تلك الحواجز التي لم تعد قادرة على حماية نفسها، فعمدوا إلى سحبها وجمعها في مناطق محدّدة وغير مكشوفة، وتمّ تحصينها بما يكفي كي تبقى عصيّة على المقاتلين.

وكان معمل القرميد نقطة التمركز الأهمّ في الريف الشرقيّ لمحافظة إدلب لأهميّة موقعه الاستراتيجيّة، كونه يقع على الطريق الذي يصل حلب باللاذقية وغدا قلعة من قلاع الطغاة التي تنشر الموت والدمار في كلّ المدن والقرى التي تصلها رماية نيرانها

ما يقارب الخمسة آلاف شهيد ومثلهم من المعوقين ومئات المنازل التي تدمّرت، حتّى صار مجرّد اسمه شؤماً على كلّ من حوله

جرت عشرات المحاولات لتحريره كلّفت الكثير من الأرواح وكلّها باءت بالفشل حتّى تحول تحريره الى حلم.

ويوم أن تمّ إعلان انطلاق معركة تحرير إدلب بعد تشكيل جيش الفتح طرح السؤال المشروع حينها ما فائدة هذا التحرير وقلاع الطغاة ما زالت راسخة؟ أليس من الأجدى أن يتمّ تحرير القرميد والمسطومة وبقيّة النقاط العسكريّة الأخرى.

وبالفعل تمّ تحرير إدلب المحافظة لتتوالى الانتصارات، ويتمّ تحرير مدينة جسر الشغور وبعدها تأتي المفاجأة الأهمّ، وهي اقتلاع أهمّ قلاع الطغاة في المنطقة (معمل القرميد) والتي لا تقلّ أهميّة، بل تزيد عمّا سبقها من تحرير بما لها من رمزيّة وأثر على استعادة الثقة وتثبت ورفع معنويات المعارضين من مدنيّين وعسكريّين.

وفي الوقت نفسه زعزعت وانهيار معنويّات شبيحة السلطة كذلك عسكريّاً ومدنيّاً، وما يقوم به النظام من مجازر وتدمير في أغلبها لا تطال سوى المدنيّين في إدلب المحافظة ومدنها وأريافها إلّا ردّ فعل هستيريّ على الهزائم التي مُنيَ بها، وبعض من محاولة رفع معنويّات شبيحته.

والمؤسف أنّ هذا العنف الهمجيّ لم يكن بالإمكان تفاديه بعد تحرير القرميد سواء تمّ تحرير إدلب قبل أو بعد تحرير القرميد، فهذا دأب عصابات الطغيان والتي تعمد بعد كلّ تحرير إلى الانتقام من المدنيّين.

وكانت الخشية أن تتمّ عمليّات الانتقام وتبقى قلاع الطغاة كما هي، ولكنّ تحرير القرميد عدّل المعادلة، بل وقلبها، وما جرى في إدلب مؤخّراً من انتصارات على كافة الصعد شكّل نقطة تحوّل ورافعة في مسار الثورة السوريّة.

وها هي عدّة كتائب في حلب تعلن عن تشكيل جيش تحرير حلب على غرار ما جرى في إدلب.

وإذ ما قوطعت أخبار الشمال مع أخبار الجنوب وما يجري في درعا من انتصارات وأنّه قد تُعلن درعاً فيما قريب محافظة محرّرة، فنكون فعلاً أمام انعطاف مهمّ في أحداث الثورة السوريّة، لسان حالها أنّ قوى المعارضة المسلّحة الفاعلة على الأرض قد أدركت وعملت فعلاً وليس قولاً على تطبيق استراتيجيّة جديدة أكثر وحدة وتنظيماً على كافّة المستويات، وقد تجاوزت مرحلة الفصائل والكتائب الصغيرة والمشتّتة، والتي تجتهد كلّا منها حسب إمكانيتها لتدخل مرحلة الجيوش بكلّ ما تعنيه هذه الكلمة من معنى.

فمبارك تحرير القرميد وكلّ انتصارات إدلب والتي هي نقطة البداية الأهمّ في اندحار عصابات الإجرام وسقوط قلاع الطغيان.

تشكيل جديد في حلب وغياب كبرى الفصائل عنه وسط خلافات عميقة بينها

محمد علاء

أنشأت عدة فصائل عسكرية في مدينة حلب وريفها، غرفة عمليات مشتركة أطلقوا عليها اسم «غرفة عمليات فتح حلب» من أجل توحيد العمل العسكري في مدينة حلب وريفها، وتتألف غرفة العمليات من الفصائل التالية:

(حركة أحرار الشام الإسلامية، ما تبقى من مكونات الجبهة الشامية المنحلة والتي فضلت البقاء تحت اسم «الشامية» بقيادة عبد العزيز سلامة، مثل» لواء التوحيد» سابقاً و»أحرار سوريا» و»عاصفة الشمال»، كتائب ثوار الشام المنشق حديثاً عن الجبهة الشامية، فيلق الشام، جيش الإسلام بحلب، كتائب فجر الخلافة وتجمع فأستقم كما أمرت).

ومع تأكيد بيان تشكيل «فتح حلب» إن باب الانضمام لغرفة العمليات مفتوح، لوحظ غياب الفصائل الكبيرة العاملة في مدينة حلب، ومنها ما كان ضمن مكونات الجبهة الشامية المنحلة، مثل جيش المجاهدين وحركة نور الدين زنكي، اللتين لم يُحل الخلاف بينهما وبين كتائب ثوار الشام المنضم لغرفة العمليات، كما غابت جبهة النصرة وجبهة أنصار الدين أيضا عن هذه الغرفة، بالإضافة لغياب الفوج الأول وكتائب الصفوة الإسلامية عنها، وهما أحد أهم الفصائل العاملة بحلب القديمة.

غياب هذه الفصائل رآه البعض نقطة ضعف كبيرة في الغرفة، التي جاءت بعد دعوات كبيرة من عسكريين ومدنيين وناشطين ثورين، لتوحيد الجهود في مدينة حلب وريفها، وإبعاد تهديد الحصار عنها وتحريرها، و طُرحت تساؤلات عديدة حول غياب الفصائل الكبرى عن غرفة العمليات، في الوقت الذي تحتاج المدينة لتوحيد وتضافر الجهود ونبذ الخلافات، نظرا لما أثبته العمل الموحد من نجاح في مدينة ادلب وريفها، من خلال توحد الجميع تحت مسمى «جيش الفتح» الذي استطاع تحقيق انتصارات كبيرة بتحرير مدينة ادلب المحافظة، ومدينة جسر الشغور الإستراتيجية ومعسكر القرميد الذي كانت قذائفه تطال مناطق واسعة من الريف الادلبي.

فيما يرى ناشطون أن الفصائل التي شكلت غرفة العمليات، تسرعت بالإعلان عنها، ما أدى لغياب الفصائل الكبرى، كما أن الخلافات بين مكونات الجبهة الشامية المنحلة، وخلافات أخرى بين جيش المجاهدين وحركة نور الدين من جهة، و كتائب ثوار الشام المنضمة لغرفة العمليات من جهة أخرى، كان سبباً رئيسياً لغياب تلك الفصائل، وأن الاستعجال جاء بعد توالي انتصارات جيش الفتح بإدلب، والشعبية الكبيرة التي حظي فيها في عموم أنحاء سورية، كان له دور أخر في الإعلان عن تجمع جديد بحلب، في محاولة تلبية طموح الشارع الحلبي، المتلهف للانتصارات التي غابت عن المدينة منذ مدة طويلة، واكتفاء الفصائل فيها بلعب دور المدافع الذي لا يبحث عن الهجوم.

احمد الأحمد المسؤول الإعلامي لفيلق الشام تحدث لـ زيتون قائلا:

غرفة عمليات فتح حلب بقيادة فيلق الشام، وقد أعلنت عنها عدة فصائل، والأن تجري مشاورات واجتماعات لضم البقية، وعمليات التواصل مستمرة مع الجميع، ويوميا يجتمع مندوبو الفصائل لبحث انضمامهم لغرفة العمليات، ويتم حاليا الاتفاق على عدة أمور ونقاط، لتنظيم العمل بشكل أكبر للمرحلة القادمة، وجبهة النصرة ستكون موجودة في عمل يتم التنسيق والتجهيز له، وسيتم الإعلان عنه عند الانتهاء من الترتيبات الأخيرة فيه.

أما بخصوص الأسباب التي دفعتنا لتشكيل غرفة «فتح حلب» هي الانتصارات الكبيرة التي حققها جيش الفتح بإدلب، بعد توحد الجهود والعمل بغرفة عمليات تحت مسمى واحد، وفتح حلب ستشمل معظم الفصائل بحلب وريفها والتحضيرات جارية وبشكل يومي يتم عقد اجتماعات من أجل ذلك.

الناشط الإعلامي علي قال لـ زيتون أيضا:

غرفة العمليات جاءت بعد مطالب ملحة من الثوار على الأرض لكنها لم تشمل الفصائل الكبيرة، التي تتحمل مسؤولية ذلك بسبب تقديم خلافاتها على المصلحة العامة لحلب، ويجب أن يتم تغير جميع القادة الحالين وضخ دماء جديدة في عروق الثورة، كونهم قدموا ما عندهم، وفشلوا من انتشال حلب من حالة التخبط العسكري الذي نحن فيه، وكانت الفصائل المشكلة للغرفة قد أعلنت عنهاوهي ترجو انضمام باقي الفصائل، ورفض الفصائل الانضمام يعني مزيدا من الفشل ومزيدا من الخسائر، ولنرجع بالذاكرة لمدة عام، منذ بدء المشاكل بين الثوار تقدم النظام على جميع جبهات حلب، واكتفى الثوار بالدفاع طوال العام الماضي.

غرف عمليات متفرقة بدون نتائج حاسمة:

نظريا يوجد في مدينة حلب عدة غرف عمليات غير معلنة، فحركة نور الدين الزنكي التي أعفت قائدها العام توفيق شهاب الدين من مهامه كقائد عام للحركة لأسباب صحية، وعينت الشيخ علي سعيدو قائداً عاماً للحركة، أعلنت عن بدء عملية لتحرير ما تبقى من حي الراشدين غرب حلب، بمشاركة لواء الحرية وجيش المجاهدين، وأعلن كل من الفوج الأول كتائب الصفوة عن بدء معارك لتحرير مناطق في حلب القديمة، تمكنوا على أثرها من التقدم و تحرير جامع بشير باشا في الجدَيدة، أما الفرقة 16 مشاة وعدد من الكتائب المنضوية تحت راية

المجلس العسكري فتركزت معظم عملياتها في أحياء الأشرفية والشيخ مقصود، فيما يقاتل لواء السلطان مراد والمؤسسة الأمنية في حي بستان الباشا، بالإضافة الى وجود عدد من الألوية والكتائب المتفرقة وغير التابعة لأي تنظيم إداري، مثل كتائب «أبو عمارة» ولواء العزة باللّه وكتائب أحفاد حمزة وغيرهم، ونسبياً لو توحدت هذه الفصائل بقيادة موحدة، لحصدت نتائج تضاهي نتائج جيش الفتح بإدلب، كونها تملك أعداد تضاهي تلك التي في ادلب، عدا عن وجود ترسانة ضخمة من الأسلحة الثقيلة لدى هذه الفصائل بحلب.

خلافات بين مكونات الشامية:

وكانت مناطق واسعة من ريف حلب الغربي، شهدت تحركات عسكرية مكثفة وانتشارا لمقاتلي حركة نور الدين زنكي التابعة للجبهة الشامية، ومقاتلي كتائب ثوار الشام، المشكلة حديثاً بعد انفصالها عن الجبهة الشامية، وذلك على خلفية اعتقال الزنكي ثلاثة من قادة كتائب ثوار الشمال، بسبب مشاكل حاصلة بين الطرفين منذ انفصال كتائب ثوار الشمال عن الشامية، وذلك يوم الأربعاء 8 نيسان 2015 لدى عودتهم من تفقد لخطوط مقاتليهم في على جبهات مدينة حلب، واستطلاع الأوضاع تجهيزا لعمل عسكري مرتقب ضد قوات النظام، كانت غرفة عمليات كتائب ثوار الشام تنوي القيام به، ولدى ذهاب قياديين اثنين من الكتائب للحوار مع الحركة، للطلب منها إطلاق سراح القادة الثلاثة، بادرت الحركة الى اعتقالهما دون أي سبب، وقد أفرجت حركة نور الدين زنكي التابعة للجبهة الشامية، عن القياديين الخمسة من كتائب ثوار الشمال المعتقلين لديها، بعد تدخل عدة فصائل إسلامية، منها حركة أحرار الشام و جبهة النصرة، والاتفاق على تشكيل لجنة شرعية مستقلة لمتابعة القضية، بعد يومين من الاعتقال، وأكد ناشطون أن الإفراج عن القادة تم بعد ضغوط من الفصائل الإسلامية الأخرى، تجنبا لأي اصطدام بين الطرفين، واشتعال فتنة واقتتال داخلي، ومازالت المشاكل العالقة بينهما قائمة، ولازال الاحتقان سيد الموقف، مما أثر بشكل كبير على موضوع دخول كل من الزنكي وجيش المجاهدين في غرفة العمليات، التي تواجدت فيها كتائب ثوار الشام.

الشامية تُحل نفسها وتُبقي على التنسيق بين مكوناتها:

بعد خلافات كبيرة بين مكوناتها، وسط محاولة للتعتيم عليها، والعمل دون تفاقمها، أعلن مجلس شورى الجبهة الشامية عن حل الجبهة، والإبقاء على التنسيق المشترك بين مكوناتها، فيما يخدم الثورة في سوريا وحلب، وذلك بعد التصدعات والانشقاقات التي عانت منها الشامية في الفترة الأخيرة، عندما بدأت من حركة أحرار الشام الإسلامية والمنضوية في الجبهة الإسلامية، والتي رفضت الانضمام الى الشامية، لتتبعها كتائب الصفوة الإسلامية أحد أهم الفصائل الموجودة في حلب، ومن ثم الفوج الأول الذي يتشارك مع الصفوة بجبهات حلب القديمة، الى أن جاء أخرها وهي انشقاق كتائب ثوار الشام، وترافقت هذه الانشقاقات مع مشاكل عديدة، والتي كان أخرها المشاكل التي حصلت مع ثوار الشام.

لم يكن خبر حل الشامية لنفسها بالشيء المفاجئ، حيث شهدت المدينة قبلها فشل مشروع الجبهة الإسلامية، والتي كانت أيضا توحد إعلامي أكثر ما يكون توحد على الأرض، واستمر الفشل الى الجبهة الشامية، التي سجلت ثاني تجمع لا يحقق أي نجاحات عسكرية في مدينة حلب وريفها، يرجع مراقبون السبب في ذلك الى الداعمين، فكل فصيل له جهة تدعمه ولا ترضى أن تدعم أحد سواه، كما أن قادة الفصائل يخافون من انقطاع الدعم على أي توحد مع جهة أخرى.

بالمحصلة هناك حالة تشاؤم كبيرة من الوسط الثوري في مدينة حلب وريفها من الأوضاع في مدينة حلب، وكلام عن بُعد التوحد والتحرير للمدينة، أو على الأقل إبعاد النظام عن منطقة حندرات ومحيطها لمنعه من التقدم مرة أخرى لحصار حلب، وذلك بسبب التخبطات التي تجري على الأرض من احتقان ومشاكل بين الفصائل التي طالما تغنت بوحدة الصف والادعاء به.

إيران تهزم في معركة بصرى الشام

منهل باريش

تقدمت قوات المعارضة في بصرى الشام وبمعركة مفاجئة استمرت أربعة أيام وسط تكتم اعلامي شديد ,أعلنت بعدها غرفة عمليات اسود الحرب والجبهة الجنوبية صباح 25 آذار تحرير بلدة بصرى التاريخية من قوات النظام والميليشيات الشيعية الإيرانية واللبنانية , ويعد هذا التقدم هو الانتصار الأول للمعارضة في مدينة يشكل الشيعة نسبة 60بالمائة من سكانها منذ بداية الثورة.

واستغرق التحضير للعملية اكثر من ثلاثة شهور وقادة المعركة فرقة شباب السنة أحد اهم الفصائل المنضوية في غرفة عمليات اسود الحرب بمشاركة نحو 23من الفصائل العسكرية أهمها لواء المعتز بالله ,ألوية العمري ,لواء توحيد كتائب حوران وفوج المدفعية والصواريخ

وتعد بصرى اهم معاقل النظام والمليشيات الإيرانية وحزب اللّه شرق درعا وتلاصق حدود محافظة السويداء التي يسيطر عليها النظام واللجان الشعبية ,والدفاع الوطني .

وفي حديث لزيتون ,قال الملازم أحمد العودة قائد فرقة شباب السنة « قمنا بعمليات الرصد والاستطلاع بشكل دقيق من خلال مصادرنا داخل البلدة « وعن سير العمليات العسكرية يقول العودة : حيدنا غرفة العمليات ومركز الاتصالات والمعلومات والمكتب الأمني ومكتب قيادة حزب اللّه منذ اليوم الأول ,حيث قصفنا اهداف العدو بالدبابات واخرجناها من الخدمة .ما جعل قوات النظام تتخبط وفقدت السيطرة على إدارة المعركة «.

وذكر مصدر عسكري لزيتون رفض ذكر اسمه «ان قوات الجيش الحر استخدمت للمرة الأولى صواريخ غراد 60ملم وذخيرة مدفعية ودبابات متنوعة» .

وأفاد نشطاء ان قوات المعارضة قطعت طريق الامداد الواصل بين مدينة السويداء وبصرى ,وضربت ارتال النظام التي حاولت الوصول لمؤازة قوات النظام والميلشيات الإيرانية واللبنانية في بصرى. واكد الملازم العودة :»دمرنا الرتل المتجه الى بصرى ولم نسمح لاي عربة او الية بالوصول الى بصرى , تركنا ثغرة لانسحاب العدو منها فقط «.

وأشار الملازم العودة: ان اعداد جثث النظام التي عثرنا عليها في البلدة وصلت الى 150 جثة لمقاتلين من جنسيات مختلفة . وان جثثا لعناصر من حزب اللّه كانت قد وضعت في براد المشفى الوطني في بصرى,فيما تركت جثث الجنود السوريين بلا دفن .ولانعلم العدد الدقيق لجثث القتلى التي استطاعت قوات النظام والميليشيات سحبها « . وعن رتب الضباط البارزين بين صفوف القتلى التي تمت في مقر القيادة الجديد قال « هناك 7 ضباط من القوات الخاصة وضابط إيراني وقياديان من حزب اللّه تم استهدافهم في اليوم الثاني من المعركة , ولا نملك أي بيانات عنهم لانهم ارسلوا بعد استهداف مقر القيادة في اليوم الأول «.

وعن كيفية اقتحام المدينة وسير العمليات يقول قائد فرقة شباب السنة :» شارك بالعملية 2000 مقاتل من مختلف الفصائل ' لكننا اعتمدنا على مقاتلي فرقة شباب السنة واغلبهم من بلدة بصرى تجنبا للخسائر البشرية وكونهم يعرفون جغرافيا البلدة . قمنا بفتح ثغرتين بعدد قليل من الاقتحاميين ومن ثم ادخلنا اعدادا كبيرة «.

من جهة أخرى صرح السيد فرج الاخرس عضو هيئة الاشراف والمتابعة والدراسات لزيتون: قمنا بالاشراف على عمليات التموين العسكرية وتامين المقاتلين واخلاء الجرحى في المعركة . ونقوم حاليا بمسح كامل للوثائق المدنية والعسكرية التي خلفها النظام وميليشاته في بصرى من اجل توثيقها وارشفتها . ونسخ اكثر من نسخة لهذه الوثائق للاستفادة منها في المستقبل «.

ويتخوف نشطاء وعلماء آثار من عمليات انتقامية يقوم بها النظام بعد خسارته بلدة بصرى التاريخية والتي تضم اكبر مدرج روماني في سوريا –انجز بناؤه عام 138م- وعدد هائل من الاثار الحجرية المنتشرة في البلدة .

من ناحيته ,العقيد الركن خالد النابلسي قائد غرفة عمليات اسود الحرب .ارسل رسالة مصورة من قلب القلعة الاثرية للشعب السوري بمناسبة تحرير بصرى ' أرسلت نسخة منها للقدس العربي ناشد فيها الشعب السوري بكافة طوائفه انه يمد يد التعاون والاخاء لتحرير سوريا من «رجس المعتدين « وعاهد نفسه بالحفاظ على كل حجر بالقلعة .وتسليمها «للجهات المختصة «.

انتصار المعارضة المسلحة في بصرى الشام يثير تساؤلات عن ضعف التدخل الإيراني في سورية ,خصوصا بعد ان فشل حزب اللّه بالتقدم باتجاه القنيطرة ,وفشل فك الحصار عن نبل والزهراء في حلب وخسارة محتملة لكفريا والفوعة في ادلب في الأيام القريبة القادمة .

الشائعات في الحروب

حالة شعبية أم لعبة مخابراتية؟

داليا معلوف

ليس من السهل أن نقوم بتعريف الشائعة التي تعد من أقوى أسلحة الحرب النفسية وتحمل الكثير من المعاني ويعرف الشائعة كل من جولدن البورت وليوبوستمان. في كتابهما سيكولوجية الشائعة بأنها «اصطلاح يطلق على رأي موضوعي معين مطروح كي يؤمن به من يسمعه» وهي تنتقل عادة من شخص إلى أخر عن طريق الكلمة الشفهية دون أن يتطلب ذلك مستوى من البرهان أو الدليل.

يمتلئ العالم الافتراضي بشتى وسائله وخاصة مواقع التواصل الاجتماعي بين السوريين بعشرات القصص والشائعات التي تنشر بشكل شبه يومي، وتمس أحداثا مثل التنبؤ بالهجمات العسكرية أو المداهمات وارتفاع الأسعار وانشقاق شخصيات سياسية واستقالة أخرى، ويتناقل مستخدمو مواقع التواصل هذه الشائعات على أنها أخبار ودون التحقق من صحتها أو من مصدرها لتنقل الرواية من صفة شائعة إلى صفة حقيقة في أذهان المتلقي.

كثرة الشائعات التي انتشرت خلال سنوات الثورة السورية دفع العديد من النشطاء الى انشاء مجموعات وغرف اخبار على مواقع التواصل الاجتماعي للتحقق من الخبر قبل نشره وتداوله ومع ذلك لم يحد هذا الامر من انتشار الكثير من الشائعات بين فينة وأخرى سواء في أوساط المعارضة أو أوساط الموالية للنظام.

تختلف الأسباب التي تدفع مؤلفي الشائعات لاختلاقها، فحسب بعض التحليلات هناك أيادي خفية تسهم باختلاق ونشر هذه الشائعات، وتهدف إلى خلق حقيقة تقنع العقل الباطن للمتلقي بمصداقية الحدث الوهمي، والأسباب وراء ذلك كثيرة، فمنها السياسي ومنها الترهيب والترغيب ومنها وهو الاهم استخدام الشائعة كجزء من الحرب النفسية في مجتمع ما.

أما الاسباب التي تدفع مروجي الشائعات لتناقلها , فيمكن تلخيصها برغبتهم بان يكونوا جزءا من القصة التي ربما تكون حقيقية ، واندفاعهم الشديد لنقل هذا السبق الخبري و تبنيه .

تترك الشائعات أثرا كبيرا لدى المتلقي , ويزداد اثرها بازدياد عدد متداوليها ومروجيها , تتضخم الشائعة في المجتمع لتصبح الحديث الشاغل لمعظم الناس , ومع تضخم هذه الشائعة تزداد تأثيراتها سلبا أو ايجابا على المتلقي , لتخلق في النهاية حالة عامة ابتدأت بقصة كاذبة ثم تحولت إلى حقيقة وفرضت نفسها بشكل تدريجي كواقع .

برعت الانظمة الاستبدادية في استعمال الشائعات كعنصر اساسي من عناصر الترويج لفكرة معينة أو خلق حالة عامة في المجتمع، تهدف من خلالها إلى اقناع الشعب بحجم النعيم الذي يعيشه في ظل الحاكم الأبدي مخلص الشعوب ومحقق احلامها، وان اي أفكار ممكن ان تراود الذهن بخلاف ذلك هي من الوسواسات الشيطانية.

وفي سوريا الثورة، كانت الاشاعات دائمة الحضور، في كل حدث ومحفل، وانطلقت مع انطلاق الحراك الثوري السلمي، حيث روج النظام وعبر وسائل اعلامه الرسمية الاف الشائعات ومنها: « حبوب الهلوسة التي توزع على المتظاهرين «، « المتظاهرون يرفعون العلم الاسرائيلي في حي بابا السباع بحمص «، « مندسين «، « مؤامرة كونية «، « سلفيين «

هدفت جميع هذه الشائعات إلى النيل من كرامة المتظاهرين، والتحريض ضدهم من خلال الشائعات التي تضخ الكره الطائفي، وترسيخ مفهوم المؤامرة التي تستهدف ايديولوجيا المقاومة والممانعة.

كما اعتمد المتظاهرون ايضا على إطلاق الشائعات بكثرة، حيث روجوا الكثير منها،

« النظام يتهاوى «، « مقتل ماهر الاسد «، « فرار الرئيس وعائلته إلى دولة اوربية «، « انشقاقات واشتباكات في القصر الجمهوري بدمشق «، « انارة القصر الجمهوري تطفئ لأول مرة منذ 30 عام «

هدفت جميع هذه الشائعات إلى زيادة عدد المنشقين عن النظام أولا وبث الخوف في صفوف المؤيدين ثانيا، كما اسهمت في الكثير من الاحيان بضخ جرعات من الأمل بسقوط النظام سريعا.

رافقت الشائعات مراحل الثورة السورية وتطورت بتطورها، وشكلت في بعض الاحداث جزءا هاما من استراتيجية الحرب، ومن هذه الاحداث نذكر:

_ «مئات الاستشهاديين «، تقدم جيش الفتح باتجاه مدينة ادلب، حيث عمد جيش الفتح إلى اطلاق شائعة تفيد بجهوزية «مئات الاستشهاديين الذين ينتظرون الأوامر» ليقوموا باستهداف مواقع وتحصينات قوات النظام، تركت هذه الشائعة اثرا كبيرا في صفوف قوات النظام والمليشيات المقاتلة معه , أدت إلى انهيار حقيقي في معنويات المقاتلين , وكان لذلك اثرا كبيرا في سرعة تحرير مدينة ادلب .

_ « داعش تتقدم « , اطلق النظام شائعة تفيد بتقدم تنظيم داعش باتجاه مدينة حماه , و أرفق هذه الشائعة بتحركات لقواته في المدينة و بيانات رسمية , انتشرت الشائعة في صفوف المدنيين , و زرعت رعبا كبيرا في قلوبهم , أسهمت هذه الشائعة بانضمام عدد كبير من الشباب الى صفوف قوات النظام و قوات الدفاع الوطني , وبحسب ناشطي المدينة , وصل عدد المتطوعين اثر هذه الاشاعة إلى قرابة 270 شابا خلال 4 ايام , هذا الرقم الذي عجز النظام عن تحقيقه في المدينة طيلة اشهر , نجح ومن خلال شائعة بذلك , وعزز تعداد قواته الموجودة في المدينة بهدف تعويض النقص الحاصل في العنصر البشري لديه .

اطلاق الشائعات لم يقتصر على النظام و الثوار , بل اسهمت ايضا الفئات التي رفضت الانضواء تحت أي من الصفين في اطلاقها , وكان الهدف الابرز لها , هو خلق حالة عامة تبرر عدم مشاركتهم في الحراك الثوري , ورغبتهم في انهاء النزاع , واقناع انفسهم بانها ليست ثورة ولا مؤامرة , بل هو نزاع مسلح على السلطة , ويجب على الجميع عدم المشاركة به , ومن هذه الشائعات التي لا تكاد تغيب حتى تعاود الظهور ,

« نهايتها تبويس شوارب «، « الحل السلمي «، « الدولة العلوية «، « التقسيم «، « حكومة مشتركة « وغيرها الكثير من الشائعات التي تهدف إلى نزع صفة الثورة عن الحراك والباسها ثوب النزاع السلطوي لا أكثر.

ان التأمل في الاثار الناتجة عن الشائعات يدفعنا حقا إلى التساؤل عن مصدر وهدف اطلاقها، فمن حيث المصدر غالبا ما نصل إلى طريق مسدود عند البحث عن المصدر الحقيقي لها وبساطة اللغة المعتمدة في بث وترويج الاشاعة تضيف إلى الموضوع تساؤلات أكثر حيرة. ومن حيث التأثير، تركت العديد من الشائعات تأثيرات ايجابية في الحالة العامة لدى المتلقي، وأسهمت أخرى في تحريف كامل لمسار الراي العام أو الحدث. فهل يا ترى تعتبر الشائعات في زمن الحروب حالة شعبية ناتجة عن كثرة الاحداث في الأوضاع الراهنة أم هي أم لعبة مخابراتية لتحقيق أهداف معينة؟

موقف المدني في سوريا

مي الفارس

مما يغلب على الطبيعة البشرية في كينونتها وآلية تفكيرها أنه حين تريد أن تبدي رأياً في موضوع ما, أو أن تتخذ موقفاً تجاه أي حدث يصادفك ويتطلب منك الخروج من دائرة الصمت, فإن ذلك يحتاج إلى الكثير من العوامل التي تمكنك من تأطير رأيك بالموضوعية ومنحه صفة المنطقية.

فهذا الموقف أو الرأي لابد أن لا يكون محاصراً بأسباب من الخوف و القلق والتوتر, وكذلك أن لا يكون دافعه المنفعة التي من الممكن أن تتبلور فيما يسمى التحيز إلى غريزة البقاء

حيث يكون الفرد ضمن خطر يهدد حياته وحياة الكثيرين ممن هم حوله مما يجعل هاجسه المهمين الحفاظ على الوجود, وهذا ما يجرد موقفه من الموضوعية والمنطقية.

وعموماً يتجلى ذلك في المواقف التي يتخذها الإنسان الغارق في بؤرة الحرب. فتكون ردة فعله مجسدة لموقف مدني تحاصره حرب لا يشارك فيها غير أنه يعاني من نتائجها,

وهو ما يختلف عن مواقف المنخرطين في النزاع المسلح أو موقف المؤيدين والمعارضين, لذا ليس بوسعنا إدراج موقفه ضمن أيديولوجيا معينة قد تدفعه إلى التعصب تجاه أفكار تؤيد أو تعارض, فتخضع لحجج المنطق والتي تساعد صاحبها في إقناع الطرف الآخر بصواب رأيه أو تقنع الطرف الثالث الذي يحكم على الصراع بين الطرفين,

في حين يبقى موقف الفرد المدني متذبذباً نابعاً من خوف متفاقم يحكمه التشتت اللامنطقي.

ومثل هذه البدهيات المتعارف عليها تغيب اليوم عن إدراك الوسط الفكري السوري سواء أكان في الداخل أم في الخارج,

ففي الوقت الذي تغلب فيه الموضوعية على مواقف السوريين في الخارج وهي موضوعية تنهض على مشهدية واضحة يمكن اعتبارها ثلاثية الأبعاد أية رؤية شاملة تخضع للمنطق المجرد من عوامل الخوف وقلق المصير الوجودي في تحديد الأسباب التي أدت إلى النتائج الدموية التي آلت إليها الحرب في سوريا,

نجد أن مواقف من هم في الداخل تتأسس على ضرورة الحفاظ على بقائهم الآني, فتغيب عن مواقفهم المشهدية الكاملة للأحداث, وتتجرد من منطق أن غيرهم أيضاً في أماكن أخرى من سوريا يتعرضون لموت شبيه. ربما لأنهم عاجزون عن التخلص من هذا الخوف, فمن هو خائف ومحاصر بأسباب الموت اليومي العبثي لا يمكنه أن ينجد الآخر, بل في كثير من الأحيان قد يرى في هذا الآخر سبباً لموته.

هي جدلية الموت في الحرب التي تحكم هذه المواقف. فنادراً ما تجد مواقفاً موضوعية لدى الأطراف المدنية المتواجدة سواء في مناطق النظام أم في مناطق المعارضة باتجاه بعضهم البعض أو باتجاه ما يصيبهم من موت ودمار.

والمفجع أن كلٌ من هذين الطرفين المدنيين ليس بوسعه اتخاذ قرار الرحيل تحت وطأة الخوف من التشرد والنزوح واللجوء فتبقى غريزة البقاء الآنية مهيمنة على آلية التفكيرالتي تبلور مواقفه.

وفي بقائه الجبري هذا تغيب مفاهيم الثورة الأخلاقية في تطور الأحداث وتضمحل منطقية المواقف الإنسانية العليا حيث بات يصنفون لدى كلٍ من الطرفين تحت اسم »البيئة الحاضنة«, ويتم استباحت حياته وفق هذا التصنيف من قبل الذين يملكون قرار استخدام السلاح.

يبقى من هو في الخارج القادر الوحيد على رؤية الأمور بموضوعية كما ذكرنا سابقاً, فموقفه نابع عن اطمئنان نفسي بشكل أو بآخر يعود إلى سبات غريزة البقاء لديه, غير أنه من المؤلم أن تجده يطالب من هم في الداخل باتخاذ مواقف موضوعية لن توقف الحرب لكنها ضرورية في إنصاف الواقع السوري الدموي.

في حين يعاني هذا الأخير من عجز متفاقم وإرهاق قد تكدس يوماً بعد يوم على عاتقه ليبقى عالقاً في دوامة الموت اللامتناهية, يتخبط في مواقفه النابعة من خوفه, فتجده تائهاً لا يستطيع التمييز بين عدوه و صديقه, ولا يمتلك قدرة الإدراك التي توضح له إن كان أداة لأصحاب القرار أو ذريعة لهم. لم يعد يهمه سوى أن يبقى على قيد الحياة أطول فترة ممكنة.

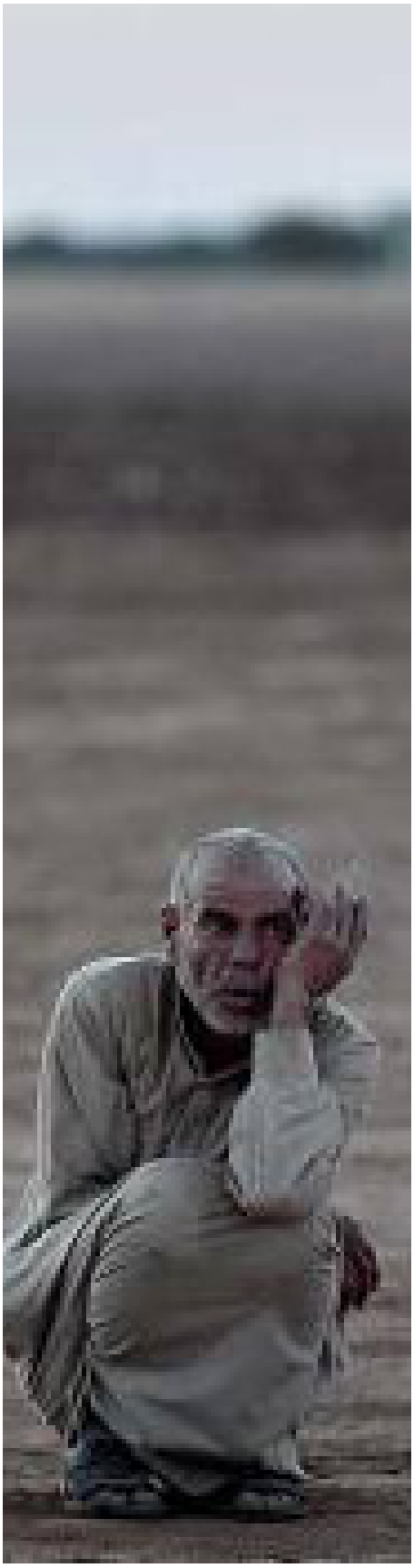

المجتمع المدني: أعباء ومعوقات..

مروان محمد

يجب الاعتراف بداية، بأن متطلبات المجتمع المدني، ذات الطيف الواسع من المهام، تثقل كاهل الجميع، جميع المعنيين بالشأن العام.

صحيح هي تهم النشطاء السلميين بالدرجة الأولى كونهم رأس الحربة في مشروعهم المدني السلمي، لكن المثقفين والسياسيين عموما، ليسوا أقل اهتماما أبدا. ويجب رؤية أن ذلك الاهتمام يعني الجميع على ضفتي الصراع الطاحن (رغم إن المفارقة السورية، هي خارج المنطق وفوق العلم الطبيعي. حيث للنهر عندنا أكثر من ضفتين!؟ تضايف ضفافه، في ظل «الفوضى الهدّامة». إن جاز لي، مع حفظ الفارق، هي تشبه الحواجز الثابتة والطيارة، الأمنية والتشبيحية للجميع، في عموم سوريا).

لا ينبغي استغراب ذلك، فإن كانت الكتلة الأساسية من المعنيين هي في طرف الثورة، وهي المستهدفة بشكل رئيسي، والتي تدفع الثمن الفعلي، فيجب أن لا يقلل ذلك من أهمية الكتلة الباقية من الجهة الأخرى، والتي هي معنية بالشأن السوري، فهي أيضا كتلة سورية! وهذه واحدة من نواقص العمل الميداني المدني، التي لم تستطع استقطاب الجزء المعني بالمجتمع المدني، وبالسلم والتعايش الأهليين.

يربط المجتمع المدني عادة، بالسلم الأهلي، وهي البيئة اللازمة والضرورية لترسيخ صيغة التعايش المجتمعي الطبيعي. لكن في ظل الصراع الدموي الطاحن، يتراجع النشاط المدني، رغما عنه، أمام تقدم موجة العنف الكاسحة، أمام السلاح.

في الحالة النموذجية يطمح الناشط المدني، ومن ورائه مؤسساته المعنية والراعية له (وأعني بهم كل الذين يعملون سلميا لتحقيق أهدافهم المجتمعية)إلى التأثير ضمن المجتمع ككل، دون تمييز بين أي طرف من أطراف النزاع، للحفاظ على بيئة التعايش السليمة بين جميع أبناء المجتمع، راهنا ومستقبلا.

(نعلم جميعا، أن بيئة التعايش السلمي للسوريين قد ضُربت بشدة، وبشكلٍ ممنهج، ولإعادة ترميمها من جديد، تحتاجٍ منظمات المجتمع المدني، ونشطائها السلميين، إلى جهد مضاعف، وإلى مساعدة مجتمعية عامة، ناهيكم عن مساعدة المجتمع الدولي ذاته، والتي باتت ضرورية بل وأساسية في وقف الصراع المسلح).

فهل بيئة العمل الراهن، قابلة للاستجابة؟

عوض الإجابة مباشرة بلاّ قوية وقاطعة! نقول بأن الأمر بات بعيدا كثيرا عن وجود إمكانية واقعية، مؤثرة وفاعلة، على ساحة العمل الميداني، والذي تهيمن عليه قوى العمل المسلح (دون أن أشمل كل القوى المسلحة على إطلاقها) بشكل شبه كامل، وقوى اللاعقل إجمالا.

وحتى نبقي باب الأمل مفتوحا، نستعين بالممكن القائم والواقعي. عندما تطور الحراك إلى ثورة، تداعى الشباب بالدرجة الأساسية، لتنظيم أنفسهم ونشاطهم، عبر شكل تنظيمي،عرف بـ»لجان التنسيق المحلية» والذي سرعان ما تطور أفقيا وعموديا. وأول من استشعر خطورة هذا التشكيل المنظم، كان النظام السوري وحلفائه، ولحقه بذلك، ويا للمفارقة « الإخوان المسلمين « بالدرجة الأولى، ثم لحقتها بعض قوى المعارضة الأقل شأنا. النظام سعى لسحقها دون هوادة، عبر القتل والاعتقال، والتشويه والاختراق؛ بينما سعى « الإخوان « للهيمنة عليها، من أجل تجييرها حزبيا، وإسلاميا، قبل وطنيا!

والجميع يعلم ما آلت إليه الأمور لاحقا. معها وبعدها تشكلت العديد من الهيئات والمنظمات التي تعنى بالنشاط المدني السلمي، بعضها اندثر وتلاشى، وبقي البعض الآخر يعمل في ظل شروط قاهرة وخطرة للغاية، لكنه بالرغم من ذلك، لا يزال يعمل إلى الآن. وهذا لعمري بحد ذاته انجاز يحسب لهم.

للحق، ما يبقي الناشط المدني السلمي مصرا على العمل في حقل الألغام هذا، مغامرا بوقته وجهده، بل وبحياته، هما أمران: إيمان كبير، هو أقرب إلى» عقيدة سلمية « يعمل بوحيها (صحيح إن العمل التطوعي لا يزال موجودا، ويعمل في حقول مختلفة، لكن بالمقابل، لا يعيب المتطوع مكافأة نشاطه ماديا، إن أمكن. فهو إنسان أيضا، وذو احتياجات حياتية عديدة ومختلفة) والثاني هو تلمس بعض التجاوب من الناس في هذا المكان أو ذاك، خصوصا الذين يلمسون بعض النتائج المباشرة، من خدمية أو إنتاجية، أو اغاثية وما شابه، وإن كان لا يزال محدوداً في الكثير من مناطق النزاع، وبالأخص الساخنة منها. مبدئيا، يجب أن لا نحمّل الناشط أكثر مما يحتمل. فهو كأي إنسان يتأثر بما يجري من عنف منقطع النظير، يضغط عليه كما على كل المجتمع. الأمر الذي يضيّق مجال نشاطه العام لصالح الكتلة المسلحة. إن هذا الناشط الذي يؤمن بالنضال السلمي، وبالقانون وحقوق الإنسان الخ الخ، يواجه هجوما شرسا من أغلب الأطراف الفاعلة في الصراع السوري. وهي بالتأكيد ليست أطرافا محلية فحسب، بل إقليمية ودولية بامتياز. والأخطر من ذلك، هو الإصرار العنيد من قبل بعض المتداخلين، على أخذ الصراع إلى الحقل المذهبي أولا، والطائفي ثانيا، والاثني عند اللزوم.

كل ذلك يعقد من شروط العمل في الساحة السورية. لذا، أنت بحاجة إلى شيء من المهنية والحرفية في التعامل مع الناس المأزومين. وهذا أمر لا يتحقق إلاّ بدورات تخصصية متواترة، يرفد العمل المدني السلمي، مانحا الفرصة في التعويض عن النزف المستمر(جراء القتل والاعتقال والتهجير) وعلى الاستمرارية الفاعلة من جهة، من خلال النحت على « صخرة الثقة « لدى الناس(وهي عزيزة المنال في ظرفنا الراهن!؟) وحيث تنجح فأنت تؤسس لعمل مدني، ولمجتمع مدني قادم لا محالة. وهذا يحتاج إلى صدق بيّن مع النفس، ومع الناس، وإلى إيمان كبير بعدالة القضية التي تعمل عليها. فالعمل المدني السلمي القائم، عليه أن يستمر- ومن سنن الثورة أنه سيستمر!- رغم محدوديته الحالية، لكنه بالقطع هو عمل تأسيسي مهم وخطير على مستقبل البلد.

وعليه يجب دعمه على طول الخط، بالكلمة الطيبة وبالمكافأة المالية معا، شريطة أن لا يتحول الدعم المالي المعني، إلى وسيلة فساد وإفساد للناشطين السلميين، كما هو بلاء الثورة القائم، وابتلاؤها في الوقت عينه.

اللّوحة الفنّية في الوطن العربي

بين الانتماء.. القومي والوطني

عبد الرزاق كنجو

اعتادت الأجيال العربية بعد استقلالها على قول الشاعر:

بلاد العرب أوطاني.. من الشام لبغدانِ

ومن نجد الى يمن.. الى مصر فتطوانِ

كان ذلك مبعث فخرٍ واعتزاز لكل عربي، بعد أن مرّت الشّعوب العربيّة بمراحل قاسية من الذلّ والإهانة والاستغلال.

كما أنّ الجّهل والتجهيل كانا أهم شعار عند المستعمر المحتل، حتى أنّ تلك الشعوب كانت تعاني من كل ضروب الحياة، ابتداء من لقمة عيشها وظلمها وصولاً لمنع العلم والتنوير وإغناء عقولها.

وهو السلاح الفتّاك لجعل الأمم والشعوب تابعة خانعة مستهلكة، تأكل فقط لتعيش، محرومة من جميع وسائل تنمية الفكر والمواهب الإبداعية،علماً بأنّ جذور تلك الشعوب والأقوام العربية كانت ضاربة في التاريخ القديم كمنبع وضّاء أنار معظم الحضارات السالفة.

ولطالما أن الفكر المتّقد، لا يمنعه مانع من العمل والتفكير والإبداع، ورغم كلّ التضييق عليه، فإننا نشاهد أنّ الفنون العربية القديمة، والتي لا تزال متاحف العالم أجمع تخزنها وتعرضها، بل وتتسابق لاقتنائها بالطرق المختلفة المشروعة، أو الممنوعة والمحرّمة دولياً.

كان للمستعمر دور ايجابي — دون أن يدري — في تحفيز الشعراء والأدباء والفنانين العرب لنشر إبداعاتهم وتداولها سراً أو بشكل علني متحدياً تضييق وسلب حرية التداول والنشر أو عرض اللوحات في الصالات، وإقامة الندوات الفكرية عنها.

ولابد وأن نتذكّر بدايات ذلك النشاط الفكري في العصر الحديث، حيث كانت الجزائر أكثر من عانى من ذلك القمع والتضييق على المبدعين لفترة امتدت لحوالي (130 سنة) كانت كافية لإخماد توهج النهضة الفنية والأدبية ولتغيير لغة الأمّ. لكنّ الفنان والمثقف الجزائري راهنوا على البقاء والعطاء والاستمرار متحدين كل العوائق والتضييق فكتبوا ورسموا وأبدعوا.

كما كان للاحتلال الصهيوني لفلسطين دوراً كبيراً أيقظ الفكر العربي من سباته فترة الاحتلال العثماني وجعله القضية الأساس, يدافع عنها أرضا وفكراً وتراثا فكانت المحاضرات والمعارض الفنية ونشر المؤلفات العربية عن القضيّة الفلسطينية كهدف موحد يدافع عن الوجود العربي الذي باتت الصهيونية تهدد كيان الأمة العربية كلّها من خلال ذلك.

وبقي الفنان والمثقف يتابع القضية الفلسطينية في جميع المحافل والمنتديات لتثبيت الهوية العربية لهذه الدولة الوليدة من جديد .

في الركن الجنوبي من الوطن العربي كانت دولة اليمن تعيش حالة التمزق القبلي, وقد كانت هدفاً لشتى أطماع الدول الغربية نظراً لموقعها الجغرافي وتحكمها بباب المندب الذي تعبر فيه السفن المحملة بخيرات الشرق الى الغرب. لذلك وجدنا نيران الفتن الدائمة تشتعل بين حين وآخر لإلهاء الشعب اليمني بمقاتلة (نفسه بنفسه) بينما يقف الغرب ساخراً منه وضاحكاً.

ولو رجعنا الى بلاد الشام ـ سورية ـ لوجدنا أن الفنون وشتى أنواع الفكر قد ازدهرت, وانتشرت فيها اللوحات الوطنية التي تقدس الوطن والمواطن الملتزم بقضايا أمّته العربية بدءاً من مقارعة المستعمر الفرنسي وليس انتهاء بالإعتزاز بالوحدة بين سوريا ومصر عام 1958مع التركيز على القضية الفلسطينية التي لم تعتبرها ـ سورية ـ إلا قضيتها الأساس على مر الزمن وتبدل عهود الحكّام .

لكن حضارة مابين النهرين التي تعمقت في العراق أفرزت جيلاً مبدعاً من الفنانين التشكيليين فقدّم أروع اللّوحات, مستمداً إبداعه العظيم من المنهل الأول في تراثه

اليمن

الآشوري والسومري الذي أدهش العالم بمخلفاته الفنية حتى يومنا الحالي.

ولا يمكن للمتابع إلا أن يقف بإجلال وإكبار أمام إبداعات الفنان المصري الذي كان له الدور الأكبر في نشر الفنون وتعليمها وإعطائها الطابع الشرقي المتميز والذي يتجلّى بشكل واضح في لون بشرة الوجوه السمراء وملامحهم الفرعونية المميّزة, فضلاً عن شعبية الموضوعات المطروحة والتي تكون دائماً أقرب لنفسية وعين المتلقي والتأثير في كل من يشاهدها.

سأكتفي هنا بعرض بعض النماذج من (اللوحات الفنيّة) كأمثلة للمقارنة, من دون ذكر أسماء رساميها, بل سأكتفي بالتدليل على هوية كل لوحة وعائديتها للبلد العربي الذي أنتجت فيه.

وفي كل الأحوال فلقد نجد فارقاً وتبايناً بين لوحة وأخرى, لكن في النهاية لابد من الإعتراف والتأكيد بأنّه لكل بلد هويّة فنيّة قد تميزه عن سواه, لكن في النهاية:

لابد من الإعتراف بأن بوتقة واحدة صهرت وأفرزت هذه العصارة الموحّدة فنيّاً, شأنها بذلك, شأن حروف وكلمات اللغة العربية, التي توحّد الأمة لغوياً وتفترق وتختلف عن بعضها البعض بموجب (لهجات محليّة) تميّز كل واحدة عن لهجتها الأخرى.لكن المفهوم والهدف واحدٌ مُوحّد.

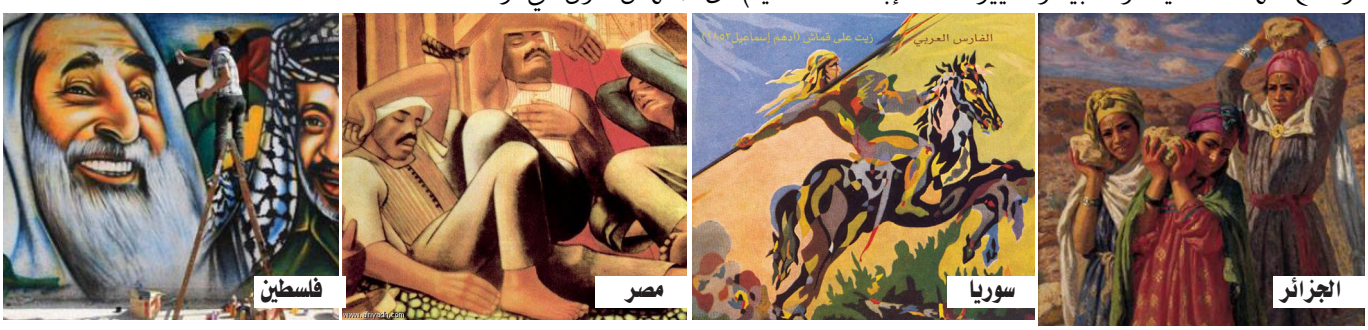

فلسطين

مصر

سوريا

الجزائر

الصمت سيّد الكلمات

أسعد شلاش

صمت .. صمت ..صمت

في البدء كان الصمت .. سيّد متربّع على عرش الكلام وصامت على تآمره والاختصام والتصارع بين حروفه، ولأذنّه من ذهب ضاق ذرعاً بثرثرة الفضّة، ولكونه يحترم مصموتيّته انسرق جانباً وظلّ مصرّاً ببصيرته ووقاره على الاستغراق في صمته والاستماع في وضح النهار إلى تطاحن الكلمات وتبعثر حروفها حتّى استسلمت وأعلنت عجزها رافعة مجرورها وناصبة مرفوعها ومسكّنة مفتوحها.

أشفق الصمت عليها وأدخلها في كينونة تصميته مشفقاً على عجزها الإنبائيّ ومتولّياً مهمّة الإنباء عنها جازماً أنّه ليس عدماً لغويّاً، بل هو عدم نطقيّ، لذلك تمارس عليه قوى التخلّف والاستبداد سلطتها وهيمنتها الممأسسة وتحوّله بقوة الإرهاب إلى تصميت يفرض على السواد الأعظم من البسطاء المثبّطين ليصيروا بمثابة وحدات تتغذى عليها لوحات كهربائيّة تنير شاشة بكلّ الألوان تسطع عليها صورة أب بائد، وقائد قوّاد، أو هم بمثابة القاعدة التي انتصب عليها نصب نصّاب منتصب مصاب بلوثة النرجسيّة، يرى ذاته في كلّ حيثيات الوطن، ويرى الوطن مختزلاً في حيثياته، مبتسماً تارة وأخرى متجهّماً في زيّه العسكريّ يلقي التحيّة على الرعيّة ومحرْماً في لباس الحجيج يطوف ويسبّح بحمد من خلقه في أحسن تقويم ومنّ عليه ليكون أحكم الحاكمين، ووارثاً لهذا الوطن وما عليه.

وصمت الصورة أو الصنم هنا ليس صمتاً محايداً، بل هو صمت إرهابيّ متواطئ يوشي بلغة لها دلالتها ومدلولاتها ويغدو ما يوحي به من خطاب هو الأوحد والوحيد، وعلى الرعيّة أن تسمع وتحفظ وتردّد ما يشاء، وما يريد وتعمّ وتُعمّم لغته الديموغجيّة ويغدو خطابه هو الخطاب السائد. ويُصمّت قسراً من يتكلّم بلغة مغايرة، إمّا بسجنه أو نفيه، وإن اقتضى الأمر اغتياله وتصميت جسده، فإمّا لغته وإما الصمت.

والذي هو سلاح المستضعف في وجه المتجبّر سلاح الضحيّة الأقوى في وجه جلاده، لا يُخرج الجلاد عن طوره ويوهن عزمه وعزيمته إلّا صمت الضحيّة، وتتسع رقعة الصمت المتربّص الذي يخمّر في جوفه كلاماً يهيئ لأفعال، والتصميت الذي تفرضه السلطة بالإرهاب تناسباً طرديّاً مع هيمنة قوى التخلّف والاستبداد وتابوات المحرّمات والمعيبات.

وتعشعش وتتكاثر الشياطين الخرساء الصامتة عن الحقّ في رحم هذه المجتمعات، ولكنّها تبقى مترفعة ولو درجة عن المسوّقين للغة الديموغجية التي تمجّد الشيطان، وكلما ازدادت حركيّة المجتمع وتحضره وحريّته تتناقص مساحة صمته وتصميته.

وعلى الصعيد الذاتي تسعفنا لغة الصمت الأقوى عندما تخوّننا لغة الكلمات وتعلن عجزها في ذروة المتناقضات من شدّة مشاعر فرحنا وحزننا، حيث يسود الصمت «فالصمت في حرم الجمال جمال» والصمت في هيبة الحزن جلال، والصمت ليس أسود وما هو بظلام، لكنّه تخماً ونصلاً فاصلاً بمثابة الاستراحة بين ضوءين، بين فعلين أو هو ثقب أسود في الفضاء اللغويّ يبتلع ما يناسبه من مفرداته، ويقذفه أحياناً بشكل انفجاريّ.

ويستمدّ الصمت طابعه من صامته فهو عبوديّة لدى الجبناء ومتآمر عند الخبثاء وإرهابيّ ونرجسيّ قاتل هو صمت الطغاة.

وترقد في حنايا الصمت متعة الإصغاء وملكة التعلّم فمن لا يصغي لا يتعلّم ومن لا يتعلّم يتجهّل، فالصمت تاج، وقار على رؤوس الحكماء لا يدركه الثرثارون، وهو ليس حالة عديمة وعدميّة، إنّه حركة سكنت وتوقفت بدون ضجيج.

إنّه كامن في كلّ المكوّنات، هو ليل الكون واستراحة القلب وثالث مكوّنات الموسيقى إضافة إلى الصوت والايقاع، وقد يتآمر الصمت أحياناً مع المكان لفرض حالة خشوع أو فرح، وصمت الأمكنة التي ألفناها وألفتنا مؤلم وحزين وتصميتها بقرقعة نيزك قادم من السماء على هيئة برميل، نكبة وفجيعة تجمّد دموع المكان وتصمّته عنوة، فيبكي ولا يسمع نحيبه ولا يتحسّس ملوحة دموعه إلا عاشقه وبانيه ويبقى صمته ناطقاً بكلّ اللغات يلعن الطغاة ويبصق على الصمت المتواطئ من قبل الجميع.

وصمت المكان الجديد واللامألوف رهيباً وفي أحسن الأحوال موحشاً، وصمتك بين قوم لا تجيد لغتهم حيرة ووجعاً له رائحة الغربة والغرابة، ووجودك في مكان ما أنت بفاعل فيه هو تصميت لملكاتك وإمكانياتك، فاللغة الثرثارة وغير الفاعلة هي صمت زائف ومزيّف، واللغة السيّئة والمسيئة عبارة عن درنات أوساخ ورذائل علقت بأطراف قداسة الصمت الذي كان في البدء نظيفاً، وجاهد أن يبقى كذلك وينجز كلّ أفعاله دونما تفاخراً وافتخاراً وعرضاً واستعراضاً.

ولكنّ الطبيعة أوشت به لأغلب مكوّناتها فراحت تحيك المؤامرات عليه وتخدشه بسكاكين أصوات مبهمة وغير واضحة المعنى، تخدش ولو قليلاً كبرياءه، لكنّه كان يرمّمها بسرعة وهدوء ويصمت عنها باعتبار أنّها لا تؤذي كينونته.

ومع ملايين السنين استطاعت تلك المكوّنات أن تلد لغة الكلمات التي قطعت الصمت ولوّثته بلوثتها وجزّأته إلى وحدات تطفّلت عليه وتشاركت معه الكون باعتباره الزمن بثوانيه وساعته والأدهى أنّها حاولت أن تنقل إليه الكثير من بذاءاتها وسيّئاتها، وكان شرطه للقبول أن يدفن في رحمه مفاتنها والحسناوات من مفرداتها، وألّا يشاركها النميمة على كائن من كان، لكنّها تحايلت وتمرّدت عليه ونجحت أحياناً في غوايته وتحميله البذيء من شطّطها.

وصمت الخطاب هو المعنى الآخر والمسكوت عنه وإلّا مزيّف في كلّ النصوص وهو الوجه الأكثر نصاعة ومصداقيّة لما تصمت عنه النصوص وتخبئه بين كلماتها وجملها وفواصلها وعلامات ترقيمها، وما يصمت عنه النصّ قد يكون هو الأهمّ، وصمت القارئ بعد قراءة هذا النصّ هو نصّ آخر قد يكون أكثر صدقاً وإبلاغاً.

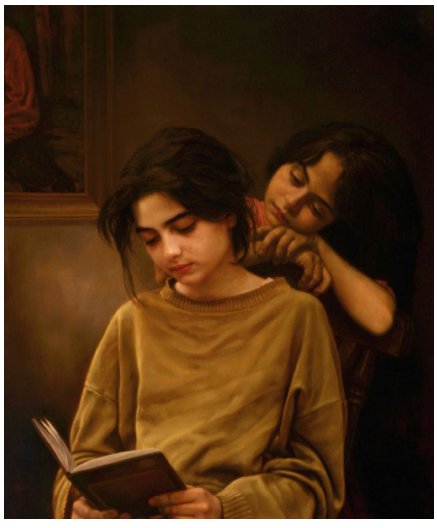

التطعيم بخيال الظلّ

بشار فستق

هل يمكن إحياء «بابات»* خيال الظلّ كفرجة مسرحيّة، لتؤدّي دورها في الفنّ بما هو تكثيف وانتقاء من واقع الحياة، أو ما يمكن أن يوصلنا إلى تعميمات فلسفيّة نحتاجها في بحثنا عن الجوهريّ، بينما نحن في عصر العروض على شاشات ثلاثيّة الأبعاد أو منحنية أو عملاقة أو..؟

التسلية في أيّ عرض مسرحيّ شرط أوّليّ ثابت، يمكن أن تليه الفائدة، التي قد نختلف في تعريفها، أو أن نصل لنفيها باعتبار مقولة: الفنّ للفنّ. المتعة اصطلاح متداول يشمل التسلية والكشف، إذ أنّ الأخير هو معرفة تبدأ من إحساس المتفرّج الذي يوصله إلى الفهم؛ فأن نفهم الفنّ يعني أن نحسّ به. وهكذا يمكن أن يهتف أحدنا عندها: ها.. الآن فهمت!

في خيال الظلّ، فرجة على دمى بطول لا يتجاوز الخمسين سنتمتراً مصنوعة من الجلد ملوّنة تلتصق بشاشة بيضاء، يأتيها ضوء من خلفها لتصبح مرئيّة، يحرّكها «المخايلي»** ليُسلّي جمهوره في «بابة» من «بابات» انتشرت منذ العصر العبّاسيّ في الأماكن العامّة كالمقاهي، وحتّى في الحفلات الخاصّة كالأعراس والختان، وليُدلي «المخايلي» من أحفاد «ابن دانيل»*** بدلوه حتّى في السياسة على طريقته الشعبيّة الفظّة الألفاظ، والساخرة الفكهة.

أبطاله شخصيّات منها «قره كوز» (العين السوداء) وهو أمّيّ يحرّف الألفاظ لضحالة معرفته ممّا يثير الضحك، فضوليّ، نادراً ما يعمل فهو عطّال بطّال عيّار، لكنّه موهوب في الفرار من رجال السلطة. كيف لك ألّا تحبّ هذا النموذج؟!

أمّا نقيضه «عِواظ» فهو متعلّم، يلمّ بالحساب والتجارة واللغة والأدب، وصوليّ، نهّاز للفرص، مصلحيّ، يجامل ذوي النفوذ والسلطان ولا يعاديهم، يتصرّف «كما يجب» و «حسب الظرف»، لا مبادئ لديه. كيف لك ألّا تبالي بهكذا نماذج وخاصّة فيما يُنتجان عبر مسألة تناقضها؟!

في «بابة» بعنوان «الطيران» يشكو «قره كوز» فَقره لـ «عواظ» ويحكي كيف دفعته البطالة إلى التشرّد فصادف رجلاً يدخّن، شاركه التدخين فهبّت عاصفة قويّة قذفت به إلى الحقول! ينجذب «عواظ» مأخوذاً بالمغامرة، ويتابع «قره كوز» ما حدث له، إذ سقط في بئر لكنّه تعلّق بشجرة داخل البئر، ثمّ وجد في الدلو منقذاً له ليخرج مع ماء الريّ ليسقي الملفوف المزروع في الحقل!! ويأتي البستانيّ فلا يستطيع صاحبنا الفرار منه، ويحار «عواظ» في التفكير بطريق للنجاة، لكنّ «قره كوز» يجد في الاختباء بين أوراق رأس الملفوف حلّاً، لكنّه يُنقل معه إلى بائع الخضار ثمّ يُباع إلى من يرميه في قدْر ماء يغلي!! هنا يحزن «عواظ» على هذا المصير التعس، لكنّ «قره كوز» يذكّر مستمعه بالرجل الذي كان يدخّن ليكشف له أن الدخان ما كان إلّا حشيشاً، وأنّ الماء المغليّ في آخر حدث، ما هو حقيقة إلّا بول حصان أجرب نزل على وجهه بينما هو منطرح أرضاً بعد أن أخذ منه الحشيش صوابه، وهنا يصفع «عواظ» على قفاه ليسخر منه ويسأله: كيف يمكن أن تصدّق أنّ رجلاً يجلس في دلو ماء؟! أو يختبئ بين أوراق رأس ملفوف؟!.

تضعنا هذه الـ «بابة» أمام أسئلة محيّرة حول روعة هذا الخيال الشعبيّ المجنّح، فهذا «الطيران» يقدّم للجمهور التسلية والمتعة وهو يكشف آليّة التخييل، وكيفيّة ربط الأجزاء «الواقعيّة» في السرد بالأجزاء المُتخيّلة، واكتشاف المحاكمة العقليّة؛ تطرح بابة «الطيران» مستويّات مختلفة من الفهم عن ماهيّة المعرفة من حيث هي خبرة وليست معلومات جامدة.

«بابات» خيال الظلّ يمكن أن تُحيي العرض المسرحيّ، كما يتمّ تطعيم غصن شجرة من غيرها، على الأقلّ.

هوامش:

*مفردها «بابة» وهي الحكاية التمثيليّة الحواريّة في خيال الظلّ.

** فنّان، يؤلّف العرض ويخرجه ويؤدّي أصوات الشخصيّات ويحرّك الدمى بعصاه.

***ابن دانيال (1249 – 1311) ميلاديّ، أشهر «مخايليّ» كتب «البابات» وطوّر خيال الظلّ، فرّ من المغول شاباً (تسعة عشر عاماً) تاركاً الموصل إلى القاهرة.

في ذكرى وفاة الشاعر نزار قباني

نزار قباني

توفي نزار قباني عن خمسة وسبعين عاما في 1998/4/30 وأعيد إلى وطنه سوريا في كفن ، وتحولت جنازته إلى مظاهرة للشعر شارك فيها آلاف الرجال والنساء.

المحضر الكامل لحادثة اغتصاب سياسية

1

سامحونا ..
إن شتمناكم قليلاً .. واسترحنا
سامحونا إن صرخنا ..
كتب التاريخ لا تعني لنا شيئاً
وأخبار عليٍّ .. ويزيدٍ .. أتعبتنا ...
إننا نبحث ..
عمن لا يزالون يقولون كلاماً عربياً
فوجدنا دولاً من خشبٍ ..
ووجدنا لغةً من خشبٍ ..
وكلاماً فارغاً من أي معنى
سامحونا ..
إن قطعنا صلة الرحم التي تربطنا ..
سامحونا إن فعلنا ..

2

سامحونا
- أيها السادة - إن نحن جننا
ألف دجالٍ على أكتافنا
إستباحوا دمنا منذ ولدنا
ألف بوليسٍ على أوراقنا ..
يطلقون النار .. لكن ما سقطنا ..
حاولوا أن يقطعوا أرجلنا
كي يعيقوا الزحف .. لكنا وقفنا ..
قطعوا الأيدي. لكي لا نمسك الأقلام ،
لكنا كتبنا ..
حاولوا أن يقنعونا..
أن قول الشعر كفرٌ .. فكفرنا ..

3

سامحونا ..
إن قتلنا مرة آباءنا ..
وشككنا في روايات أبي زيد الهلالي
وفي شخصية الزير .. وفي عنترةٍ ..
سامحونا إن شككنا ..
في نصوص الشعر والنثر التي نحفظها
وحديث السيف .. والرمح .. وفي (كان) و (كنا)...
سامحونا إن هربنا ..
من بني صخرٍ .. وأوسٍ ..
ومنافٍ .. وكليبٍ ..
سامحونا إن هربنا ..
ما شربنا مرةً قهوتهم
إلا اختنقنا ..
ما طلبنا مرةً نجدتهم
إلا خذلنا ..
إن تاريخ ابن خلدون اختلاقٌ
فاعذرونا ..
إن نسينا ما قرأنا ....

4

سامحونا ..
إن دخلنا قصركم من غير إذنٍ
ودخلنا حجرة العرش .. وقاعات المرايا ..
وشممنا عبق الأجساد في كل الزوايا
ورأينا كيف في ثلاجة السلطان ،
يبقى طازجاً لحم السبايا ..
سامحونا ..
إن تعدينا على أملاككم
وعتقنا العدد الأكبر من زوجاتكم
سامحونا إن خجلنا ..
وكرهنا نفسنا .. وكرهنا جلدنا ..
ونحرناكم جميعاً .. وانتحرنا ...

5

سامحونا ...
إن قطعنا مرةً سكرتكم
وسرقناكم من الويسكي يوماً
وفتحنا جرحنا ..
سامحونا .. إن سرقناكم من (الفيديو) قليلاً
كي نريكم موتنا ..
إننا نسأل عن شخصٍ يسمى المتنبي
كان في يوم من الأيام عصفور العرب
فعرفنا أنهُ مات على أيدي المباحث
ووجدنا طلقةً في رأسه ..
ووجدنا طلقةً في حلقه ..
ووجدنا طلقةً في قلبه ..
ووجدنا طلقةً ثانيةً في قلبنا ..

6

سامحونا
إن تعدينا على عذرية الدولة يوماً
واغتصبناها بشكلٍ همجيٍّ ..
واسترحنا ..
وعضضناها كذئبٍ من يديها
ولعنا والديها ..
وأمرنا الشعب أن يأكل لحماً طازجاً من ناهديها ..
سامحونا
إن تجاوزنا اللياقات قليلاً ..
وتصرفنا كأطفالٍ جياع ..
وشربنا من دم الدولة أنهاراً ...
ونمنا ....

7

سامحونا ..
إن تبولنا على كل التماثيل التي تملأ ساحات المدينه ...
وعلى كل التصاوير التي ألصقها البوليس - بالغصب -
على كل حوانيت المدينه ..
وعلى كل الشعارات التي يقذفها بالطوب .. أطفال المدينه .
سامحونا ..
إن تجمعنا كأغنام على ظهر السفينه ..
وتشردنا على كل المحيطات سنيناً .. وسنينا ..
لم نجد ما بين تجار العرب ..
تاجراً يقبل أن يعلفنا .. أو يشترينا ..
لم نجد بين جميلات العرب ..
مرأةً تقبل أن تعشقنا .. أو تفتدينا
لم نجد ما بين ثوار العرب
ثائراً .. لم يغمد السكين فينا ...

8

سامحونا ..
سامحونا ..
إن رفضنا كل شيءٍ ..
وكسرنا كل شيءٍ ..
واقتلعنا كل شيءٍ
ورمينا لكم أسماءنا
فالبوادي رفضتنا .. والموانى رفضتنا
والمطارات التي تستقبل الطير صباحاً ومساءً .. رفضتنا
إن شمس القمع في كل مكانٍ .. أحرقتنا ..
سامحونا ..
إن بصقنا فوق عصرٍ ما له تسميةٌ
سامحونا إن كفرنا ...

تمت طباعة وتوزيع هذا العدد من قبل مطبعة سمارت ضمن مشروع دعم الإعلام السوري الحر